Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الضمير إذا سألتك حاجة لأبي الهذيل خلافُ ما أبدى
فامنحه روحَ اليأس ثم امدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد
وألن له كنفاً ليحسن ظنه في غير منفعة ولا رفد
حتى إذا طالت شقاوة جَدِّه وعنائه، فاجبهه بالرد
وإن استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

ولما قرأ الحسن رقعته وقع فيها: «هذه ـ لك الويل ـ صفتك لا صفتي، وأمر لأبي الهذيل بألف دينار. فعاد إليه فعاتبه، فقال سهل: تُرى أين غرب عنك الفهم؟ أما سمعت قولي: إن الضمير خلاف ما أبدي...؟ فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا. قال الجاحظ: هذه من مغالطات سهل.

وأقول ربما كانت هذه إحدى طرائقه النفسية التي يعرف بها كيف يستميل النفوس، وكيف يظفر بحاجته؟

وروى الجاحظ أيضاً أن رجلا لقي سهلا فقال: هب لي ما لا ضرر به عليك. فقال سهل: وما هو يا أخي؟ قال: درهم. قال: هونت أمر الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يعصى، وهو عُشْر العشرة، والعشرة عُشْر المائة، والمائة عُشْر الألف، والألف دية المسلم، ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذي هونته؟ وهل بيوت الأموال الا درهم على درهم، يقول الجاحظ: فانصرف الرجل، ولولا انصرافه لم يسكت.

(د) تعميق المعاني:

من المعاني ما هو عميق الغور، بعيد المنال، لا يصل إليه إلا كل ذي فكر غواص كسهل بن هرون؛ الذي كان يدرك ببصيرته ما لا يدركه سواه، ويكفي أن يتجه ذهنه الى الموضوع لتنثال عليه أشتات الخواطر: جليلها ودقيقها فيأخذ منها ما يشاء، ويدع ما يدع، ويولد منها ما يريد... استمع إليه يقول في تفضيل الزجاج على الذهب.

(الزجاج مجلو نوري، والذهب متاع ساتر؛ والشراب في الزجاج أحسن منه